الورد المنهول الأصفى
في
مولد الرسول المصطفى ﷺ

تصنيف

شيخ الإسلام مصطفى بن كمال البكري

المتوفى ١١٦٢ هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

الناشر

دار الحقيقة

للبحث العلمي

دار الحقيقة
للبحث العلمي

الكتاب: الورد المنهول الأصفى في مولد الرسول المصطفى
صلى الله عليه وسلم

المؤلف: شيخ الإسلام مصطفى بن كمال البكري

تحقيق وتعليق: الشيخ أحمد فريد المزيدي

الناشر: دار الحقيقة

سنة الطباعة: ٢٠٠٨م - ١٤٢٩هـ

بلد الطباعة: القاهرة، مصر

رقم الإيداع: ٢٣٤٦/ ٢٠٠٨

الترقيم الدولي: 977-6156-91-6

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

نحمدك اللهم رافع الخضراء وباسط الغبراء وملهم الحمد والثناء، تقدست ذاتك وتسامت صفاتك، فسبحانك من منعمٍ وسعت نعمته كل سابحٍ في الماء، وسانحٍ في الهواء، ومستكنٍّ في الأحشاء، ومسبحٍ في الأرض والسماء.

ونشهد أنك أنت الله وحدك لا شريك لك في تصرفاتك، ولا شبيه لك في ذاتك وافعالك وصفاتك.

ونشهد أن سيدنا محمدًا عبدك ورسولك، ومصطفاك في سائر مخلوقاتك، فصلِّ اللهم على هذا النبي الهمام، عَلم العلام، مهبط الوحي والإلهام، سيد العرب والعجم، وشمس الهداية، ومصباح الظلام، وعلى آله المهتدين بهديه، وصحابته المتبعين لما جاء به.

وبعد .. فقد منحنا الكريم المفضال ولادة سيد الأكوان الذي هو منبع الأسرار والعلوم والعرفان، ومعدن الفضائل والفواضل، وسيد الملائكة والأنبياء الأواخر والأوائل، ومفتاح الخزائن الرحمانية، وأساس الكمالات الصمدانية، ولُبَّ العوالم العلوية والسفلية، وخلاصة الدوائر الفردانية، صلى عليه الإله في كل وقت وأوان، وأنالنا ببركته غاية المنى والسلوان ﷺ.

قد خالج قلبي أن أحقق أُنموذجًا مختصرًا وافيًا، وموردًا شافيًا في مولد خير العباد ﷺ، فكان بعد بحث وتدقيق واجتهاد وتحقيق، أن أوقفني الله على ذلك الكتاب، الذي يدخل على الألباب من كل باب بتحفة الإطراب، بل يكون في وجه هذا الشأن جنة نضرة، وفي روضة الريحان نورٌ وجَنَّة عطرة، بحيث يُلخص الفوائد

المنتشرة، ويجمع من الرقائق المحررة ما يكون غيره عنه عريًّا، ويهدي من سار في طلب هذا الأمر صراطًا سويًّا، مائلاً إلى الاختصار، متقاصرًا عن الانتشار، مضفور الغديرة، متحد الوتيرة، مريحًا للسريرة، فكان مختصرًا لـ«المورد الروي في المولد النبوي» لسيدي قطب الدين مصطفى البكري، حيث رسالته هذه «الورد المنهول الأصفى في مولد الرسول المصطفى» فسرد عباراتٍ رشيقةِ ألفاظٍ معانيها غِزار فاستوفى، فخرجت وفق المرام من كل رحيق عسل مصفًّى.

هذا .. وقد قمت بالضبط والتحقيق، والتخريج، والعزو والتعليق، وما هو إلا جهد المقل، ومحاولة الاقتراب من دخول الباب، وطمعًا في ورثة أُولي الألباب.

ولا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر للباحثة الفاضلة صفية بنت وسام لمساهمتها في هذه الرسالة بالمراجعة والتصحيح على التمام.

وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ هادي العباد، ولباب اللباب، وموصل الألباب لحضرة القدوس الغني الرحمن.

كتبه/ أبو الحسن والحسين: أحمد فريد المزيدي ٠١٠١٤٦٣٠٢٧

ترجمة مختصرة للشيخ المصنف

هو بحر الصفا، ونهر الصدق والوفاء، نجل الإمام الصدّيق، وسبطي الحسن والحسين، سيدي أهل التحقيق، شيخ مشايخ أهل الطريقة الخلوتية، وسيّد أهل العصابة القره باشلية، الداعي العباد إلى الله بمرتبة أهل الوراثة المحمّدية، والقائم في منصب الإرشاد لجميع البريّة، إمام المحقّقين، وقدوة أهل الفضل واليقين، وعمدة أهل العلم الراسخين، من يُسمع من قبره الأنين، بالصلاة على النبيِّ الأمين ﷺ، وقد نبَّه هو في منظومته البهيّة، على عدم انقطاع الصلاة منه على خير البريّة، كيف لا! وهو قطب مصر والشام، وسيّد عصابة أهل الإسلام، مَنْ شرب الجميع من غدير نهره، ودانت له جميع أولياء عصره، شيخنا، وأستاذنا، وعمدتنا إلى الله، وملاذنا، صاحب الكشف الحقيقي بين الرجال العارفين بالله، سيدي الشيخ العلاَّمة الفقيه الحجة الربَّاني سيدي الأستاذ الكبير الشهير صاحب الكشف والواحد المعدود بألف، كان مغترفًا من بحر الولاية، مقدمًا إلى غاية الفضل والنهاية، رطب اللسان بالتلاوة، صاحب العوارف والمعارف والتآليف والتحريرات، والآثار التي اشتهرت شرقًا وغربًا، وبعُدَ صيتها في الناس عجمًا وعربًا، أحد أفراد الزمان، وصناديد الأجلاء من العلماء الأعلام، والأولياء العِظام، العالم الأوحد: أنزل الله عليه سحائب رحمته، وأسكننا معه في فسيح جنّته:

أبو المعارف قطب الدين مصطفى بن كمال الدين بن علي بن كمال الدين بن عبد القادر محيي الدين الصديقي أبو المعارف البكري الدمشقي الخلوتي الصوفي الحنفي الشهير بالقطب البكري.

قد أخذ هذه الطريقة الخلوتية المرضية سيدي مصطفى البكري عن شيخه الشيخ ابن حسام الدين سيدي عبد اللطيف الحلبي، وذلك في دمشق الشام سنة ألف ومائة وعشرة، فأخذ عنه وبايعه، وسلك على يديه، وعبر بأمره ونهيه وتابعه، وحين ظهر لأستاذه منه علامات الكمال، وظهرت عليه إشارات الوصول، والدلالات في

الأحوال، أقامه الخليفة عنه، وهاديًا بأوامره بالدعوة إلى الله آمرًا وناهيًا، فسطع بدر هدايته، وطلع نجم ولايته، فاهتدت به خلائق كثيرة، وعدت طريقته في البلاد شهيرة، وبلغت مريدوه ما لا يحصرها تعداد، وأذعن له كل معاصريه في سائر البلاد، وللمصنف نسبة ظاهرية وباطنية إلى طريق النقشبندية والقادرية، ونسبة باطنية إلى طريق الشاذلية، وإنما اشتهر بالخلوتية.

وُلد سنة ١٠٩٩، وتُوفي بدمشق سنة ١١٦٢ اثنتين وستين ومائة وألف.

من مصنفاته:

- الاستغفارات (بتحقيقنا) مع شرحه للشيخ محمد المرصفي.
- الألفية الوفية للسادة الصوفية في التصوف.
- انتظار فتح الفرج واستمطار منح الفرج.
- بلوغ المرام في خلوتية الشام.
- بهجة الأذكياء في التوسل بالمشهور من الأنبياء.
- الجواب الشافي واللباب الكافي.
- الحملة الرضوانية الدانية في الرحلة الحجازية الثانية.
- الدر الثمين شرح مقاصد منهاج العابدين
- الدر الفائق في الصلاة على خير الخلائق (بتحقيقنا) مع شرح علي المكي.
- ديوان الدوح والأدواح وعنوان الروح والأرواح.
- الذخيرة الماحية للآثام في الصلاة على خير الأنام.
- رد الإحسان في الرحلة إلى جبل لبنان.
- رسالة الصحبة التي أنتجتها الخدمة والمحبَّة (بتحقيقنا).
- رشحات صدح من مسبي العذار ونفحات مدح في نبي المختار.
- رشحات الوعد الإنجازي في الكلام على صلوات الرازي.
- رشحة الصفا في امتداح المصطفى
- رفع الستر والردا عن فوق العارف أروم وقد طال المدا
الروضات العرشية على الصلوات المشيشية (بتحقيقنا)

- السيوف الحداد في الرد على أهل الزندقة والإلحاد (بتحقيقنا).
- شوارق البارق المشام في التوسل بالأنبياء من المبدأ إلى الختام.
- صادحة الأزل (بتحقيقنا).
- الصراط القويم في ترجمة الشيخ عبد الكريم.
- الصلاة البرية في الصلاة على خير البرية.
- الضياء الشمسي على الفتح القدسي في مجلدين (تحت قيد الطبع بتحقيقنا).
- طلبة الفقير المحتاج فيما يتوجه المتوجه ليلة المعراج.
- العدة العمدة المخلصة من الشدة.
- العرائس القدسية في الدسائس النفسية (بتحقيقنا).
- العقد الفريد في ترجمة الشيخ محمد سعيد.
- العقد المتلألئ على ورد العسالي.
- الموارد البهية في الحكم الإلهية (طبع بتحقيقنا).
- كروم عرش التهاني في شرح صلاة ابن مشيش الدَّاني. (بتحقيقنا).
- المدد البكري شرح صلاة سيدي محمد البكري. (بتحقيقنا).
- الهبات الأنوارية على الصلوات الأكبرية.
- شرح حزب النووي (تحقيق محمد عبد القادر –دار الكرز– القاهرة).
- شرح ورد الشعراني.
- الصمصامة الهندية في المقامة الهندية.
- الوصية الجلية للسالكين طريقة الخلوتية (بتحقيقنا).
- ورسائل عدة نقوم بتحقيقها والله المستعان والموفق.

وانظر ترجمته: هدية العارفين للبغدادي (١/ ٦٨٤)، وعجائب الآثار للجبرتي (١/ ١٦٥، ١٦٦)، وسلك الدرر للمرادي (٤/ ١٩١)، والأعلام للزركلي (٨/ ١٤١).

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

الحمد لله الذي ولّد الأنوار في الأسرار بمولد سيد سند أهل الإجهار والإسرار، وجدّد بظهور نور مرشد منجد الأطهار سوابغَ إنعاماتٍ كان مقرها الإخفاء دون الإظهار.

أحمده سبحانه وتعالى على النعم أسداها الغفار، بواسطةِ مُشهِدِ الأبرار، ومُسعِدِ الأخيار، ما كرّ ليلُ الخلوةِ الحلوةِ الأثمار، على نهارِ جَلوةِ مواصلةِ الأبكار، في العشيِّ والإبكار، والصلاة والسلام من القدوس السلام على كنزنا الحاوي دررَ حقائقَ كبار، وعِزِّنا المداوي القلوب بغررِ رقائقَ لها مقدار، محمدِ المبعوثِ رحمةً للعالمين بلا جحودٍ ولا إنكار، وعلى آله وأصحابه الأحرار، المنزّهين عن الإصرار، وعلى التابعين لهم بإحسانٍ من كل محسانٍ كبحرٍ زخّار، ومحدِّثٍ روى لنا بالسندِ الأسدِّ أحاديثَ مولدِ المختار، المهيجةَ بلبالَ محبٍّ طارَ لأوكارِ الادّكار.

وبعد: فيقول العبد الفقير للمولى الغني الستار، مصطفى بن كمال الدين بن علي بلغهم الله الأوطار، سبط الحسنين الصديقي خلصه الله من الأوزار: قد طلب مني بعض الأحباب الأحبار اختصار المولد الذي سميناه: «المورد الروي في المولد النبوي»؛ لأن فيه قليل بسط لا طويل ذيل وإكثار؛ بسبب سرد عباراتٍ رشيقةِ ألفاظٍ معانيها غِزار، أنتجها وافِرُ سافِرِ حِبٍّ له إسفار، والحال أني نزيل دمشق الشام ذات الأنهار والأشجار، والربوة والمنثار، وذلك عام ناظر للانتصار له انتظار، فبادرت بحول الجبار للاقتصار على ما لا بد منه من الأخبار، مسميًا له بـ: «الورد المنهول الأصفى في مولد الرسول المصطفى ﷺ»، فأقول راجيًا بانكسار، للقبول من القهار:

مقدمة

اعلم أنَّ سيد أهل الرتب ولدته سائر قبائل العرب من كل نجيب أنجب؛ ولهذا أمر بحب العرب، وجعله من أرفع القرب؛ فقال ﷺ: «أَحِبُّوا الْعَرَبَ لِثَلاثٍ: لأَنِّي عَرَبِيٌّ، وَالْقُرْآنُ عَرَبِيٌّ، وَكَلامُ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَرَبِيٌّ»(١)، ورسالة «الفرق المؤذن بالطرب في الفرق بين العجم والعرب» تملأ من حبهم الدلو إلى عَقْد الكَرَب.

ومن كرامة هذا المولود على ربه الودود أنْ جَعل نوره أوَّل موجود برز عن الوجود الحقيِّ المعبود، ويشهد له حديث ابن عساكر زين الأكابر، وحديث: «أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ نُورُ نَبِيِّكَ يَا جَابِر»(٢)، ومن كرامته على مولاه أكرم القبيلة التي ظهرت عنها هذه الدرة الجميلة، ولم يزل العزيز الجبار يختار له الآباء الأطهار والأمهات الأخيار، وأشار إلى هذا الاختيار في عدة أحاديث لها اشتهار، وأنشد فيه النبيه البحر الزخّار عمُّه العباس بن عبد المطلب رفيع المنار؛ حين قال له ﷺ يوم دخوله المدينة والفؤاد بالفرح طّار: يا رسول الله أتأذن لي أن أمتدحك؟ قال: «قل، لا يفضض الله فاك»(٣)، فقال:

مِن قَبْلِهَا طِبْتَ فِي الظِّلالِ وَفِي ... مُسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يُخْصَفُ الْوَرَقُ
ثُمَّ هَبَطْتَ الْبِلادَ لا بَشَرٌ ... أَنْتَ وَلا مُضْغَةٌ وَلا عَلَقُ
بَلْ نُطْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفِينَ وَقَدْ ... أَلْجَمَ نَسْرًا وَأَهْلَهُ الْغَرَقُ
تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَحِمٍ ... إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَا طَبَقُ

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٤٧٠)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ٣٨٧)، وفي «الأوسط» (١٢/ ٣١٩).

(٢) رواه عبد الرزاق في «الجزء المفقود من مصنفه» (ص٦٣)، (١٤)، وذكره الخركوشي في «شرف المصطفى» (١/ ٧٠٣)، والعجلوني «كشف الخفاء» (١/ ٣١١)، والقسطلاني في «المواهب اللدنية» (١/ ٧١).

(٣) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٣١٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٦٤).

وَرَدْت نَـــارَ الخَلِيـــلِ مُكْتَتِـــمًا ... فِي طَيِّـــهِ أَنْـــتَ كَيْـــفَ يَحْـــتَرِقُ
حَتَّـــى احْتَـــوَى بَيْتَـــكَ المُهَـــيْمِنُ مِـــنْ ... خِنْـــدَفٍ عَلْيَـــاءَ تَحْتَهَـــا النُّطُـــقُ
وَأَنْـــتَ لَمَّـــا وُلِـــدْتَ أَشْرَقَـــتِ الأَرْ ... ضُ وَضَـــاءَتْ بِنُـــورِكَ الأُفُـــقُ
فَـــنَحْنُ فِي ذَلِـــكَ الـــضِّيَاءِ وَفِي النُّـــو ... رِ وَسُـــبْلِ الرَّشَـــادِ نَخْـــتَرِقُ
وَعَالِيَـــا قَـــدْرُكَ الرَّفِيـــعُ وَفِي ... مَعْنَـــاك حَـــسَنٌ يُمِيلُـــهُ النَّـــسَقُ
وَقَـــدْ تَثَنِّيـــت والقَـــوامِ إِذَا ... غُـــصْنٌ رَطِيـــبٌ قَوَامُـــكَ الرَّشِـــقُ
وَوَجْهُـــكَ البَـــدْرُ إِذْ يُـــضِيءُ وَمِـــنْ ... شَـــعْرِكَ لَيْـــلٌ تَحَلَّـــكَ الغَـــسَقُ
أَضَـــاءَ مِنْـــكَ الوُجُـــودَ نُـــورُ سَـــنًا ... وَفَـــاحَ مِـــسْكٌ وَنَـــشْرُكَ العَبِـــقُ

ومن كرامته على ربه، وفضيلته وقربه، ومزيّته التي عزت على الاشتراك، أنْ خَلق لأجله سائرَ الأملاك.

قال في «المواهب اللّدنِّية» منح اللهُ مُنشِئَها سكن الجنة العدْنية، وفي المولد الشريف لابن طُغْرُبَك -بضم الطاء، وسكون الغين، وضم الراء، وفتح الباء- أي المسمي بـ«الدر النظيم في مولد النبي الكريم»· ويُروى أنه **«لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام ألهمه أن قال: يا رب لم كنّيتني أبا محمد؟ قال الله: ارفع رأسك، فرفع رأسه، فرأى نور محمد ﷺ في سُرادق العرش، قال: يا رب ما هذا النور؟ فقال: هذا نورُ نبيٍّ من ذريتك، اسمه في السماء أحمد وفي الأرض محمد، لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماءً ولا أرضًا»**[1] ويشهد لهذا[2]، ما رواه الحاكم في «مستدركه»: **«أن آدم عليه السلام رأى اسم**

(١) ذكره الحلواني في «مواكب ربيع» (ص١٠٧) بتحقيقنا، وقال «فهذا ظاهر في أنه إنما أودعه بعد نفخ روحه فيه، نعم يحتمل أن يراد نور سيدنا محمد ﷺ فيه نور اسمه ﷺ محمد»
(٢) كتب بهامش المخطوطة «قال الزرقاني فلو أن نادبه أحد من الملائكة به، فيكون ألهمه القول والكنية معًا. أو بعد علمه بأنه كني بذلك بطريق آخر على من يشعر به ألهمه»

محمد ﷺ مكتوبًا على العرش، وأن الله تعالى قال لآدم: لولا محمد ما خلقتك»[١].

ولله در القائل من الأوائل:

وكـان لـدى الفـردوسِ في زمـنِ الرضـا ... وأثوابُ شـملِ الأُنـسِ محكمـةُ الـسَّدى
يُـشاهَدُ في عـدْنٍ ضـياءً مُشعـشِعًا ... يزيـدُ عـلى الأنـوارِ في الـضوءِ والهُـدى
فقـالَ: إلهـي مـا الـضياءُ الـذي أرى ... جنـودَ الـسَّما تعنُـو إليـه تَـرَدُّدا
فقـالَ: نبـيٌّ خـيرُ مـن وطِـئَ الثـرى ... وأفـضلُ مـن في الخـيرِ راحَ أو اغتـدى
تخيّرْتُـهُ مـن قبـلِ خلقِـك سـيدًا ... وألبـستُه قبـلَ النبيـينَ سُـؤدُدا

وروي: «أن آدم ﷺ لما أُخرج من الجنة رأى مكتوبًا على ساق العرش، وعلى كل موضع في الجنة اسم محمد ﷺ مقرونًا باسم الله تعالى، فقال: يا رب هذا محمد من هو؟ فقال الله تعالى: هذا ولدك الذي لولاه ما خلقتك، فقال: يا رب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد، فنودي: يا آدم لو تشفعتَ إلينا بمحمد في أهل السماوات والأرض؛ لشفّعناك»[٢]. وفي المَورد المُورد، زوائدُ بحر العوائد تورد، وقد رحم الله تعالى به الأبَ الأول، فلا بدع إذا أنجى الآخرَ الأول. وأنشد:

ابـنٌ جـابرٌ مـن ارتقـى جـابرًا فجـابرًا ... والذي الشرب والقـرب لكسره جـابرا

شعر:

بـه قـد أجـابَ اللهُ آدمَ إذْ دعـا ... ونُجِّـيَ في بطـنِ الـسفينةِ نـوحُ
ومـا ضرّتِ النـارُ الخليـلَ لنـورِه ... ومـن أجلِـه نـالَ الفـداءَ ذبـيحُ

ومن أنجى به الله تعالى أباه الأول فلا عجب أن أنجى به الأبوين الأقربين ولا جلل، وما أحسن قول الحافظ شمس الدين ناصر الدين الدمشقي حيث قال -

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٧٢) بنحوه.
(٢) انظر: «الفتوحات» (٤/ ١٧٥، ٣١٣)، و«مواكب ربيع» (ص٧٦).

خفّف الله عنه الأثقال:

حبـا الله النبـيَّ مزيـدَ فـضلٍ ... عـلى فـضلٍ وكـانَ بِـه رؤوفـا

فأحيـا أُمَّـهُ وكـذا أبـاهُ ... لإيـمانٍ بِـه فـضلاً لطيفـا

فـسلِّمْ فالقـديمُ بِـذا قـديرٌ ... وإن كـانَ الحـديثُ بِـه ضـعيفا

وأنشد العالم الأحمد: أحمد الخفاجي -رحمه الله تعالى- في «طراز المجالس»، وسبب إنشاء الأبيات[1] في «المورد» قوله:

لوالـدَيْ طَـهَ مقـامٌ عَـلَا ... فِي جَنَّـةِ الخُلـدِ ودارِ الثـواب

فقطـرةٌ مِـنْ فـضَلاتٍ لـهُ ... فِي الجـوفِ تُنجـي مِـن ألـيمِ العقـاب

فكيـفَ أرحـامٌ لـهُ قـدْ غَـدتْ ... حاملـةً تُـصلَى بنـارِ العـذاب

وما أحسن قول الإمام البوصيري المقدام -قدس الله سرّه وبقربه أسرّه:

لم تَـزَلْ في ضـمائرِ الكـونِ تُختَـا ... رُ لـكَ الأُمَّهـاتُ والآبـاءُ

وإذا وقع من الأزل الاختيار لآباء السيد السند المختار؛ فالوالدان الأطهار دخلا من غير إنكار.

قال صاحب «المواهب» أغدق الله عليه المواهب: فالحذر الحذر من ذكرهما بما فيه نقص، فإن ذلك يؤذي النبي ﷺ؛ لأن العرف جارٍ إذا ذكر أبو الشخص بما ينقصه، أو وصف بوصف فيه ذلك تأذّى ولده، وقد قال ﷺ: «لا تؤذوا الأحياء بسبِّ الأموات»[2].

---

(١) قال الحلواني: وأشد إطرابًا منه الاستدلال البديع الذي ذكره الشهاب في «طراز المجالس» قال: «لما قرأت ما قاله علماء الحديث في الخصائص النبوية أنه لا تلج النار جوفًا فيه قطرة من فضلاته ﷺ، قال بعض من كان حاضرًا عندنا: إذا كان هكذا، فكيف تعذب أرحام حملته ﷺ؟»، فأعجبني كلامه ونظمته فقلت ..» [المواكب ص ٢٢٦].

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الكبير (١/ ٢٠٦٩٨).

ثم قال سماحه الكبير المتعال: ولقد أطنب بعض العلماء في الاستدلال لإيمانهما، فالله يثيبه على قصده الجميل، انتهى.

وعني به الإمام عبد الرحمن السيوطي -نفعنا الله تعالى به- فإنه ألف ست رسائل، في إثبات النجاة -منح جميل الوسائل، وفي «المورد» ما يفيد سني المطالب، في حبهما ويعرف بحال أبي طالب.

ولما أراد النور أن يكون نور الجمال المستور في حضرة العلم ويبدي سطور كماله الموفور، أذن لأمهات الأسماء بالطلب المشكور، فتعلقت الإرادة الأزلية، وتوجهت لإبرازه يد القدرة العلية، فتبرّج في المنزلة البرزخية الكلية، عند انتهاء دورة حكم الاسم الباطن، وانتقال الحكم إلى الاسم الظاهر في سائر المواطن، فصوّر المصوِّرُ العوالم، وبرأ البارئُ منه سائرَ المعالم.

ثم انبجست من عينه المقدسةِ الأدواح عيونُ مجموعِ الأرواح، وظهر للملأ الأعلى بالمنظر الأغلى؛ فكان لهم موردًا أحلى، ومقصدًا أجلى، وبعد ظهور نور ذاته، وبدوِّ مستور صفاته، وتشرُّفِ العصور والدهور، بنشر لواء إمداده الموفور، ساق الوليُّ الشكور عبدَ الله ذا الوجه الصبيح إلى آمنة ابنة وهب بنكاح صحيح، وبعدما استقرت النطفة الزكية في صدفة آمنة الآمنة به من كل بلية، أذَّن مؤذن الفلاح في مسجد النجاح، فاجتمع أهل الفلاح، وقام خطيب الصلاح فوق منبر الإصلاح، وغرف بأقداح أفراح، وعرف بسيد أرباب الالتياح، وصاح المرقِّي في أهل التلقِّي: أن فرِّغوا الأسماع، واستمطروا سحاب البر اللماع، وزينوا جوامع القلوب بمصابيح محبة المطلوب، وبعد نزول الخطيب المسكت كل عندليب، قام في محراب الاقتراب إمامًا بأصحاب الالتهاب والانتهاب، وتلا مُسمِعًا أحباب التواب، من أرباب التيجان والأعراف، آخر التوبة للإيلاف، ساجدًا للشكر بقراءة آخر سورة الأعراف، وبعد الإتمام عرف الأشراف من منحوا كامل الإشراق والإشراف، وأنَّ السيد الأنفس الرؤوف الرحيم انتقل إلى بطن آمنة، من خصها العليم في سابق علمه

بهذا التقديم والتعظيم، وإيداع هذا السر في ظهر عبد الله، ونقله لبطن آمنه أمة الله؛ ليس إلا لمحض عناية الله تعالى بهما، وفرط رعاية حماية الله لهما، وهذا ما يحقق الرجاء في جناب الله أنهما فازا بالنجاة من عذاب الله.

ويقال: إن الحمل بهذا المقرب الأقرب، والنجيب الأنجب، والسيد المرحب المرجب كان في ليلة الجمعة من شهر رجب، وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: من دلالة حمل آمنة برسول الله ﷺ أن كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة، وقالت: حُمِل بمحمد ورب الكعبة وهو إمام الدنيا وسراج أهلها، ولم يبق كاهنة في قريش إلا حُجبت عن صاحبها، وانتُزع علم الكهنه منهم، ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسًا، وأصبح كل ملك أخرس لا ينطق يومه ذلك، ومرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب تبشر بالبشارات، وكذا بشر أهل البحار بعضهم بعضًا، ولم يبق شيء مما يعبد الله من دون الله في مشارق الأرض، ومغاربها إلا خرَّ ساجدًا لوجهه، وكلما رُدّت الأصنام على قوائمها انقلبت، فحارت الشياطين، وفزع إبليس اللعين ورنّ برنّة عظيمة جمعت أعوانه الغاوين، كما رنّ حين لُعن، وحين أُخرج من الجنة، وحين وُلد النور المبين، وحين بعث، وحين نزلت عليه فاتحة الكتاب المبين، وأخبرهم بخبر سيد المرسلين.

وفي حديث ابن إسحاق على ما في «المواهب»: أن آمنة كانت تحدث أنها أُتيت حين حملت برسول الله ﷺ، فقيل لها: إنك حملت بسيِّد هذه الأمة، وقالت: «ما شعرت أني حملت به، ولا وجدت له ثقلاً، ولا وحمًا كما تجد النساء، إلا أني أنكرت رفع حيضتي، وأتاني آتٍ وأنا بين النائمة واليقظانة، فقال: هل شعرت بأنك حملت بسيد الأنام؟»[(١)]، وفي رواية: «بسيد الأمة ونبيها»، وفي أخرى: «يا آمنة إنك حملت بخير العالمين؛ فإذا ولدتِّه فسميه محمدًا، واكتمي شأنك»[(٢)]، ولعل مجيئه تكرر وكان

(١) ذكره ابن الجوزي في «صفوة الصفوة» (١/ ٦).
(٢) رواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٢/ ١٨٤).

في ابتداء الحمل، «ثم بعد مضي ستة أشهر أمهلني، حتى إذا دنت ولادتي أتاني، فقال: قُولي:

أُعيــــــذُهُ بالواحِــــــد مــــن شرِّ كــــلِّ حاسِــــد

ثم سَمِّيهِ محمدًا»ﷺ، انتهى.

والأبيات التي بعده أنكرها العراقي، وقال: لا أصل لها. وفي الأمر بتسميته بذلك إشارة إلى كثرة محموديته.

ومن ثم ألهم الله تعالى جده عبد المطلب، فسماه به يوم سابع ولادته، وقد سئل: لم سميته محمدًا وليس من أسماء آبائك ولا قومك؟ قال: أردت أن يحمده الله في السماء، ويحمده الناس في الأرض.

ورواية: «أنها وجدت ثقلاً»، قال صاحب «المواهب»: وجمع أبو نعيم الحافظ بينهما بأن الثقل كان في ابتداء علوقها به، والخفة عند استمرار الحمل، فيكون في الحالين خارجًا عن المعتاد المعروف، انتهى.

وله ﷺ في كل شهر من أشهر حمله نداء في الأرض، ونداء في السماء: أن أبشروا؛ فقد آن أن يظهر أبو القاسم ﷺ ميمونًا مباركًا.

وروى أبو نعيم عن عمرو بن قتيبة قال: سمعت أبي -وكان من أوعية العلم- قال: «لما ولدت آمنة، قال الله تعالى لملائكته: افتحوا أبواب السماء كلها، وأُلبِست الشمس يومئذٍ نورًا عظيمًا، وكان قد أذن الله تعالى في تلك السنة لنساء الدنيا أن يحملن ذكورًا؛ كرامة لمحمد ﷺ، وهذه الكرامة لم تسمع لنبي فيما تقدم»[1].

وقد أشرقت ليلة حمله الدور، وبانت فيها وفي ليلة وضعه القصور، وابتهجت الأماكن، وسُرَّت المتحركات والسواكن، ولما تم له ﷺ من حمله شهران توفي والده عبد الله، وقيل: كان ابن سبعة أشهر، وقيل: ابن تسعة أشهر، وعليه الأكثر، قال

(١) ذكره الحلواني في «مواكب ربيع» (ص٢٨٢).

الحلبي رحمه الله تعالى: والحق أنه قول كثيرين لا الأكثرين، وقيل: ثمانية عشر شهرًا، وقيل: ثمانية وعشرين شهرًا، والراجح الأول. ودفن بالمدينة بدار التابعة -بمثناة فوقية، وموحدة، وعين مهملة- وهو رجل من بني عدي بن النجار، ولما نظر ﷺ إلى الدار عرفها، وقال: «هاهنا نزلتْ بي أمي، وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله، وأحسنتُ العوم في بئر عدي بن النجار».

وقيل: دفن بالأبواء -بالموحدة والفتح والمد- قرية من أعمال الفرع بين مكة والمدينة، وقالت آمنة زوجته ترثيه[1]:

عفى جانبُ البطحاءِ من آلِ هاشمٍ ... وجاورَ لحدًا خارجًا في الغماغمِ
دعتْهُ المنايا بغتةً فأجابَها ... وما تركتْ في الناسِ مثلَ ابنِ هاشمِ
عشيةَ راحُوا يحملونَ سريرَهُ ... تَعاورَهُ أصحابُه في التزاحُمِ
فإنْ تكُ غالتْهُ المنايا ورَيبُها ... فقد كانَ معطاءً كثيرَ التراحُمِ

قال في «المواهب»: ويذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه لما توفي عبد الله، قالت الملائكة: إلهنا وسيدنا بقي نبيك يتيمًا، فقال الله تعالى: أنا له حافظ ونصير.

وقيل لجعفر الصادق ﷺ: لم يُتِّم النبي ﷺ من أبويه؟ قال: لئلا يكون عليه حق لمخلوق. نقله عنه أبو حيان في «البحر».

واختُلف في مدة الحمل، فقيل: بقي في بطن أمه تسعة أشهر كُمُل، لا تشكو وجعًا ولا مغصًا ولا ريحًا، ولا ما يعترض لذوات الحمل من النساء.

وقيل: بقي عشرة أشهر، وقيل: سنة، وقيل: سبعة، وقيل: ثمانية، وتكون هذه آية كما رويت عن عيسى عليه السلام؛ لأن الشهر الثامن يغلب فيه على الجنين -كما نصّت الحكماء والمنجمون- البرد، واليبس، وهو طبع الموت. والصحيح: أن عيسى عليه السلام

(١) انظر: «سبل الهدى والرشاد» للصالحي (١/ ٣٣٢).

كان حمله ووضعه في ساعة واحدة. وقيل: في ثلاث.

والصحيح أن آمنة وعبد الله لم يلدا غير رسول الله ﷺ، ويكون معنى قولها: «لم أحمل حملاً أخف منه» خرج على وجه المبالغة، ولا يمتنع -كما قاله المحقق ابن حجر- أن تكون آمنة أسقطت من عبد الله سقطًا؛ فأشارت بقولها المذكور إليه، انتهى.

ولما أراد المنعم المنان أن يتحنن على أهل الأكوان، وكان زمن السعد دان، واكتمل إلى أول نقطة الحمل حصل الظهور للعيان في الميزان، وهو معتدل الأركان، متصل الحركة إلى الجنان، وبه كان رجحان ميزان العلم في أمة فخر عدنان وقحطان، وبدا للشهادة الهيكل العرشي النوري، والجسد القرشي الطوري، فعوفي الوجود من دائه واشْتَفَى، بعدما انمحت بالمصطفى آية ليلة الخفا.

وقد وقع خلاف في ولادة سيد بني عبد مناف، وقيل: عام الفيل، وهذا قيل كل قيل، وقال ابن حبان النبيل: ولد عام الفيل، في اليوم الذي بعث الله فيه الطير الأبابيل على أصحاب الفيل.

وحكى البعضِ الاتفاق عليه ممن فاق، وردت الأقاويل: بأن قصة الفيل كانت توطئة لظهور صاحب التاج والإكليل، وإرهاصًا لبعثة المرشد والدليل.

واختلف أيضًا في تعيين اليوم والشهر، وهل ولد ليلاً أو نهارًا؟ والصحيح عند أهل الترجيح أنه وُلد ﷺ في شهر ربيع الأول، وحكى ابن الجوزي الاتفاق عليه، أي: اتفاق الأكثر ممن على قوله يُعوّل، واختير أنه لاثنتي عشرة خلت منه، وعليه عمل أهل مكة، بل أغلب الأقطار، وقيل: لثمان، وهو اختيار أهل الحديث وأهل المدينة، وقيل: غير ذلك.

وفي «المواهب»: وقيل: كان مولده ﷺ عند مطلع الغَفْر، وهو ثلاثة أنجم صغار ينزلها القمر، وهو منزل مولد النبيين، ووافق ذلك من الشهور الشمسية

نيسان، وهو برج الحمل، وكان لعشرين خلت منه.

ويشهد لولادته نهارًا فيه حديث مسلم: سُئل عن صيام يوم الإثنين، فقال: «**ذلك يوم ولدت فيه، وأنزلت عليّ فيه النبوة**»(١)، وقيل: عند طلوع الفجر فيه -ولا يعارضه رواية تدلّي النجوم، لضعفها، وزمان الولادة زمان خرق عوائد؛ فلا مانع من تدلِّيها نهارًا- وكانت أكثر تنقُّلاته فيه، والمشهور أنه ولد ﷺ في سوق الليل آخر شعب بني هاشم في دار عقيل المباعة لمحمد بن يوسف أخي الحجاج، واستغرب ما قيل أنه ولد بالردم، وأغرب منه ما قيل: أنه ولد بعسفان، بل قال الأئمة الأعيان: إنه يجب الإيمان أنه ولد بمكة، وهذا أول واجب للأولاد على أصولهم.

ومن كرامة سيد الأكوان على الرحيم الرحمن على ما اختار بعض العلماء الأعيان أنه ولد مسرورًا مختونًا مكحّلاً نظيفًا من الأدران.

وقد اختلف في تفضيل ليلة مولده الشريف على ليلة القدر، ووجّهه صاحب «المواهب» بثلاثة وجوه، وناقشه الإمام ابن حجر في «النعمة الكبرى» مستدلاً أن الشارع ﷺ نص على أفضلية ليلة القدر، ولم ينص على أفضلية ليلة المولد، ولا على أمثالها، أي: كليلة المبعث والهجرة؛ فوجب الاقتصار عليه، ثم حقق أن هذا من حيث القواعد، وأما إذا نظرنا لجلالته ﷺ وعظم قدره لم يمتنع علينا أن نقول ليلة المولد من هذه الحيثية لها شرف وأي شرف حتى على ليلة القدر.

ولما وُلِد سيد المرسلين، وسند الأولين والآخرين وقع على الأرض ساجدًا رافعًا رأسه إلى السماء، وقيل: ولد واضعًا إحدى يديه على عينيه، والأخرى على القُبُل؛ لأن من رأى منه ما يجب ستره طُمست عيناه، كما في «الخصائص الصغرى».

وروي عن ابن عباس المصان: أن سيد الأكوان لما ولد قال له في أذنه رضوان خازن الجنان: «**أبشر يا محمد فما بقي لنبي علم إلا وقد أُعطِيتَه، فأنت أكثرهم علمًا،**

(١) رواه مسلم (٢/ ٨١٩).

وأشجعهم قلبًا»(١).

ويروى أن والدته قالت: «لما فُصِلَ عني خرج معه نورٌ أضاء له ما بين المشرق والمغرب». وحدثتْ فاطمة بنت عبد الله الثقفية أنها لما حضرت الولادة رأت البيت امتلأ نورًا، والنجوم دنت حتى ظنّت وقوعها عليها، وأنبأت الشفاء، المورِّث أبناؤُها الشفاء، على ما في «المواهب» عازيًا لمخرجه أبي نعيم عن عبد الرحمن بن عوف عن أمه الشفاء قالت: «لما ولدت آمنة رسول الله ﷺ وقع على يدي فاستهل، فسمعت قائلاً يقول: رحمك الله. قالت: الشفاء، وأضاء له ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى بعض قصور الروم. قالت: ثم ألبنته وأضجعته، فلم أنشب أن غشيتني ظلمة ورعب وقشعريرة، ثم غيِّب عني، فسمعتُ قائلاً يقول: أين ذُهب به؟ قال: إلى المشرق وإلى المغرب. فلم يزل الحديث مني على بال حتى ابتعثه الله، فكنت في أول الناس إسلامًا»(٢).

ومن عجائب ولادته ﷺ ما خرجه البيهقي وأبو نعيم عن حسان بن ثابت قال: «إني لغلام ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل ما رأيت وسمعت، إذا يهودي يصرخ ذات غداة: يا معشر يهود. فاجتمعوا إليه وأنا أسمع، قالوا: ويلك، ما لك؟ قال: طلع نجم أحمد النبي الذي ولد به في هذه الليلة»(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ يَهُودِيّ قَدْ سَكَنَ مَكَّة، فَلَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَة الَّتِي وُلِدَ فِيهَا النَّبِيّ ﷺ قال: يَا مَعْشَر قُرَيْش هَلْ وُلِدَ فِيكُمْ اللَّيْلَة مَوْلُود؟ قَالُوا: لَا نَعْلَم. قَالَ: فَإِنَّهُ وُلِدَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَة نَبِيّ هَذِهِ الْأُمَّة، بَيْن كَتِفَيْهِ عَلَامَة، فَانْصَرَفُوا فَسَأَلُوا فَقِيلَ لَهُمْ: قَدْ وُلِدَ لِعَبْدِ اللهِ بْن عَبْد الْمُطَّلِب غُلَام، فَذَهَبَ الْيَهُودِيّ مَعَهُمْ إِلَى أُمّه فَأَخْرَجَتْهُ لَهُمْ، فَلَمَّا رَأَى الْيَهُودِيّ الْعَلَامَة خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ وَقَالَ: ذَهَبَتْ النُّبُوَّة مِنْ

---

(١) ذكره الحلواني في «مواكب ربيع» (ص ٣٣٠).
(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ١٠٢)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (١/ ٩١).
(٣) ذكره ابن كثير في «السيرة النبوية» (١/ ٢١٣)، والصالحي في «سبل الهدى» (١/ ٣٣٩).

بَنِي إِسْرَائِيل، يَا مَعْشَر قُرَيْش أَمَا وَالله لَيَسْطُوَن بِكُمْ سَطْوَةً يَخْرُج خَبَرُهَا مِنَ المشرِق وَالمغْرِب» رواه يعقوب بن أبي سفيان بإسناد حسن، كما قاله في «فتح الباري»(١).

ومن عجائب ولادته أيضًا: ما روي من ارتجاج إيوان كسرى، وسقوط أربع عشرة شرفة من شرفاته، وغيض بحيرة طبرية، وخمود نار فارس وكان لها ألف عام لم تخمد، كما رواه البيهقي، وأبو نعيم، والخرائطي في «الهواتف»، وابن عساكر(٢).

وفي سقوط الأربع عشرة شرفة إشارة إلى أنه يملك منهم ملوك وملكات بعدد الشرفات، وقد ملك منهم أربع سنين عشرة، ذكره ابن ظُفَر، وزاد ابن سيد الناس: وملك الباقون إلى خلافة عمر ﷺ.

ومن ذلك أيضًا: ما وقع من زيادة حراسة السماء بالشهب، وقطع رصد الشياطين، ومنعهم من استراق السمع.

ولقد أحسن عبد الله الشقراطسي حيث قال:

ضاءتْ لمولدِهِ الآفاقُ واتصلتْ ... بُشرى الهواتفِ في الإشراقِ والطفَلِ

وصَرْحُ كسرى تَداعى من قواعِدِهِ ... وانقضّ منكسرَ الأرجاءِ ذا ميَلِ

ونارُ فارسَ لم توقَدْ وما خَمَدَتْ ... مُذْ ألفُ عامٍ ونهرُ القومِ لم يَسِلِ

خرّتْ لمبعَثِهِ الأوثانُ وانبعثَتْ ... ثواقبُ الشُّهْبِ ترمي الجنّ بالشُّعَلِ

انتهى ما في «المواهب اللدنية» وفي «السيرة الحلبية».

وعن كعب الأحبار: «رأيت في التوراة أن الله تعالى أخبر موسى ﷺ عن وقت خروج محمد ﷺ، أي من بطن أمه، وموسى أخبر قومه أن الكوكب المعروف

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٣٦)، والحاكم في «المستدرك» (٩/ ٤٥٣)، وذكره ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٣٧٨) بنحوه.

(٢) رواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٨٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٥٤)، وفي «الاعتقاد» (ص٢٧٨)، وأبو سعيد النقاش في فنون العجائب (٧٥).

عندكم بكذا إذا تحرك وسار عن موضعه فهو وقت خروج محمد ﷺ، وصار ذلك يتوارثه العلماء من بني إسرائيل».

ويروى أن صفية بنت عبد المطلب قالت: «كنت قابِلَتَهُ حين وُلد، فرأيت نوره قد غلب ضوء السراج، ورأيت فيه ست علامات: رأيته حين سقط ساجدًا، والثانية: لما رفع رأسه قال بلسان فصيح: لا إله إلا الله إني رسول الله، والثالثة: رأيت البيت مستضيئًا من نوره قد غلب ضوءه ضوء السراج، والرابعة: أرادت أن أغسله فهتف هاتف: يا صفية لا تتعبي نفسك فإنا أخرجناه مغسولاً طاهرًا طيبًا، والخامسة: أردت أن أعرف أذكر أم أنثى؟ فوجدته مختونًا مسرورًا، والسادسة: أردت أن ألفّه في لفافة فوجدت على ظهره خاتم النبوة، وهو بين كتفيه مكتوب فيه لا إله إلا الله محمد رسول الله»[١]، نقله بعض شراح «البردة النبوية»، والصحيح: أن الشفاء هي القابلة، وأم أيمن الحاضنة، وصفية مساعدة لها.

وأشار اسم أمه للأمان، واسم القابلة للشفاء من علل الأبدان، واسم الحاضنة لليُمن والبركة والإحسان، واسم المساعدة للاصطفاء على أهل الأكوان، واسم مرضعته الأولى ثُويبة إلى نيل الثواب والامتنان، والمستقلة برضاعه إلى الحلم الهتّان، وإلى السعد اسم قبيلتها ذات الرجحان.

وفي «السيرة الحلبية» ناقلاً عن وهب بن منبه أنه قال: «لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ أصبحت الأصنام في جميع الأرض منكّسة على رؤوسها، وكلما ردوها على قوامها انقلبت، فحارت الشياطين لذلك ولم تعلم السبب، فشكت إلى إبليس فطاف في الأرض ثم عاد إليهم، فقال: رأيت مولودًا والملائكة قد حفّت به فلم استطع أن أدنو إليه، وما كان نبي قبله أشد عليَّ وعليكم منه، وإني لأرجو أن أُضِلّ به أكثَرَ ممن يهتدي به»[٢]. وفي «المورد» زيادات لمن يُرِد.

---

(١) ذكره النور الحلبي في «إنسان العيون في سيرة المأمون» (١/ ٩٩).
(٢) في «السيرة الحلبية» (١/ ٨٦).

ولم تزل أمه ﷺ ترى وهي حامل ما يدل على عظم قدر أكمل كامل، إلى أن مرّت تلك الشهور المسرّة، ودنا زمان ظهور النور الهامع بكل مبرّة.

وفي تلك الأيام التي فتحت مقفل باب الإنعام، رأت المسعودة المحسودة على حمل علم الأعلام وقلم الأقلام، ودواة التسطير ونواة التقدير، ورَقِّ التعريف وكتاب التشريف، كنز الكنوز ورمز الرموز، الغيب المنزل والغيث المرسل، الرحمة الكلية للعالمين، والنعمة الجلية على الجاهلين والعالمين، روح العالَم الكبير بحكم السبوح العالِمِ الكبير؛ فالعالَم قبل ظهور نشأته جسد مسوّى معدّل كالجنين، وبعد ظهورها فيه حُبِيَ الحياة التامة بيقين، وبعد انتقاله؛ فحكمه حكم النائم الذي في رقاده ساه، وحكمه بعد بعثه ﷺ حكم من حصل له من نومه الانتباه، صفوة الصفوة الأخيار، ونخبة النخبة الأبرار، مَن تصرّف وهو نور، وتعرّف خلف الستور، وتسمّى في كل مقام باسم خاص، وخاض يمّ الحياة بأكمل وارث عُدّ من خواصّ الخواص، وفاضت بركة ظهور جسمانيته في كل عالم أسمى، وهو الذي علم ذات العلوم، وأبوه علم منه علم الأسما، وبها على ملائكة السماء سما، ورفعت المحن عن الأمم بوجوده الأتمّ الأنمى، فهنيئًا لنا بهذا السيد السند المحمود الأحمد.

ولما أبدر قمرُ ظهورِه، وغمر نورُ رابعةِ نهارِ حضورِه، قالت آمنة، التي بتشرفها به آمنة، على ما رواه أبو نعيم عن ابن عباس، حباهما الله تعالى نعيم الإيناس: كانت تقول: «لقد أخذني يوم الإثنين ما يأخذ النساء من الألم، ولم يعلم بي أحد من قرابتي، وإني لوحيدة في المنزل، وعبد المطلب في طوافه غائب عني، فسمعت وجبةً عظيمةً وأمرًا شديدًا، فهالني ذلك، فرأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادي، فذهب عني الرعب وكل وجع كنت أجده، ثم التفتُّ فإذا أنا بشربة بيضاء ضمنها لبن، وكنت عطشى، فتناولتها فشربتها، فأصابني نورها، ثم رأيت نسوة كالنخل طولاً كأنهن من بنات عبد مناف يحدِّقن بي -أي يشتدُّ نظرهن إليَّ- فبينا أنا أتعجب

وأقول: واغوثاه، من أين علمن بي؟»[1]، وفي رواية: «فقلن لي: نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران، وهؤلاء الحور العين».

قلت: ولعل حكمة حضورهما أنهما زوجاته في الجنة، والحور الحاضرات ممن اختصّ بهن من عين المنة.

ثم قالت: «فاشتد الأمر، وأنا أسمع الوجبة في كل ساعة أعظم وأكثر وأهول مما تقدم، فبينا أنا كذلك، وإذا أنا بديباج أبيض قد مُدّ بين السماء والأرض، وإذا قائل يقول: خذوه عن أعين الناس، فرأيت رجالاً قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق من فضة، وإناء يرشح منه عرق أطيب من ريح المسك، وأنا أقول يا ليت عبد المطلب دخل عليَّ، قالت: ورأيت قطعة من الطير أقبلت من حيث لا أشعر حتى غطت حجرتي، مناقيرها من الزمرد، وأجنحتها من الياقوت، فكشف الله عن بصري، فأبصرت في ساعتي تلك مشارق الأرض ومغاربها، ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات: علمًا في المشرق، وعلمًا في المغرب، وعلمًا على ظهر الكعبة، فأخذني المخاض واشتدّ بي الأمر جدًّا، وكأني مسندة إلى نساء، وكثرن عليَّ حتى كأنهن معي في البيت، وأنا لا أرى شيئًا، فوضعتُ محمدًا»[2] ﷺ وشرّف ومجّد وكرّم وعظّم.

وقد اعتاد كثير من الناس ممن تيّمه الحب وهيّم، وأقلقه الشرب حيث في وادي القرب قلبه خيّم، أن يقوموا عند سماع وصفه الشريف أو ذكر وضعه الرفيع المنيف، وأول من فعله فحاز إصابة، وسنّه للأمة فنال الإثابة، عالم الأمة ومقتدى الأئمة التقيّ النقيّ الزكيّ الإمام تقي الدين السبكي، وتابعه علماء عصره ونبلاء مصره، فقد حكي بعضهم أن الإمام المذكور -أعظم الله تعالى له الأجور- اجتمع عنده جمعٌ كبير من علماء عصره من كل نحريرٍ تحريرٍ شهير، فأنشد منشدٌ قول الصَّرْصَرِيّ -قدّس الله سره السريّ-:

---

(١) رواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٢/ ١٨٤).

(٢) ذكره الحلواني في «مواكب ربيع» (ص٣٢٢)، بتحقيقنا.

قَلِيلٌ لِمَدْحِ المُصْطَفَى الخَطُّ بِالذَّهَبْ ... عَلى وَرَقٍ مِنْ خَطِّ أَحْسَنِ مَنْ كَتَبْ
وَأَنْ تَنْهَضَ الأَشْرَافُ عِنْدَ سَمَاعِهِ ... قِيَامًا صُفُوفًا أَوْ جِثِيًّا عَلَى الرُّكَبْ

قال الحلبي بعد نقله الواقعة: فعند ذلك قام الإمام السبكي -رحمه الله تعالى- وجميع من بالمجلس، فحصل أنس كثير بذلك المجلس، ويكفي ذلك في الاقتداء.

قال ابن حجر الهيتمي: والحاصل أن البدعة الحسنة متفق على ندبها، وعمل المولد واجتماع الناس له كذلك، انتهى. وكذلك هذا القيام؛ فإن المراد به تعظيم جناب سيد الأنام.

ونقل صاحب «السيرة الحلبية » عن الإمام الشافعي المطّلبي: أن ما أُحدِث وخالف كتابًا أو سنة أو إجماعًا أو أثرًا فهو البدعة المذمومة، وما أُحدِث من الخير ولم يخالف شيئًا من ذلك فهو البدعة المحمودة، انتهى.

وقلت محرِّضًا أرباب الغرام، وأصحاب الوجد الرئيس والهيام، على هذا القيام، المقيم جاه فاعله يوم القيام، فيما لنا من نظام، نرجو به في السلك الانتظام:

قُم عندَ وصفِ الهاشميِّ الأجملِ ... سعيًا على الآماقِ دُونَ الأرجُلِ
وكذا لدى ذكرِ النزولِ الأكملِ ... من منزلٍ أعلى لنُزْلٍ أعدلِ
واحضر بقلبٍ خاشعٍ متذلِّلِ ... شَغِفٍ له بالحبِّ صوتُ المرجلِ
فعسى مليحاتُ المعاني تنجلي ... لَمّا بديعاتُ المعاني تجتلي
والضاحياتُ تلوحُ للسرِّ الخلي ... عن غيرِهم فيعودَ من نورٍ ملي
وكذا الحقائقُ والرقائقُ تختلي ... بحمى محبٍّ للعليِّ الأولِ
بُشرى لنا بمحمدٍ نورِ الولي ... مِنْ ذكرِهِ يُجلَى صَدا قلبٍ خَلي
صلِّ وسلِّم مالكَ العرشِ الجلي ... مِنّا على طَهَ الرسولِ الأفضلِ
وعلى جميعِ الآلِ ما صَبٌّ بُلِي ... بالوجدِ في ياسينَ أشرفِ مُرسَلِ

والصحبِ مَنْ سادوا بِهِ البدرِ العلي والتابعينَ هُداةُ كلِّ مضلَّلِ
يا مصطفى يشدو لِمَنْ شوقًا صَلِي قُم عندَ وصفِ الهاشميِّ الأجملِ

قالت والدته التي في ظله قالت آمنة، ومن آوت لركنه الشديد فأمست آمنة: **«فلما خرج من بطني نظرت إليه، فإذا هو ساجد قد رفع إصبعيه إلى السماء كالمتضرع المبتهل، ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت تنزل من السماء حتى غشيته فغُيِّب عن وجهي برهة، فسمعت مناديًا ينادي وقائلاً يقول: طوفوا بمحمد شرق الأرض ومغربها، وأدخلوه إلى البحار كلها؛ ليعرفه جميع من بها باسمه ونعته وصفته، ويعرفوا بركته، ويعلموا أنه سمي الماحي؛ فلا يبقى شيء من الشرك إلا محي به في زمنه[1]، قالت: ثم انجلت السحابة عنه في أسرع من طرفة عين، فإذا به مُدْرج في ثوب صوف أبيض أشد بياضًا من اللبن، وتحته حريرة خضراء، وقد قَبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الأبيض الرطب، وإذا بقائل يقول: قبض محمد ﷺ على مفتاح النصر، وعلى مفتاح الذكر، وعلى مفتاح النبوة»**[2]، انتهى.

قال المحقق بعدما ساقه: وأمره ﷺ وشأنه فوق هذا. وساق رواية الخطيب من طريقين -وهي التي سمعت أمه فيها صهيل الخيل وخفقان الأجنحة وكلام الرجال- ثم قال: وفيه دليل لكونه ﷺ ولد بخاتم النبوة، وهو من علامتها التي كان أهل الكتاب يسألون عنها، ويحبون الوقوف عليها، لكن جاء بسند أصح من هذا،

---

(١) عقَّب الشيخ الحلواني على ذلك بقوله: «قلت: ولعل معنى كونهم يعلمون ذلك أنهم حين يرونه على ما هو عليه من سطوع الأنوار، والأسرار لا يشكُّون أن من هذا شأنه يمحو ما يبعث لمحوه من الشرك، فيعلمون أن تسميته بالماحي طابقت مسماه، والمناسبة فيه أن الماء يمحو النجس الحسي كما أنه ﷺ يمحو النجس المعنوي: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة:٢٨]، وكما سمَّى ﷺ فيها «الماحي» سمَّى فيها «عبد المهيمن» فيما نقله ابن الجوزي، وغيره عن كعب الأحبار» (ص ٣٢٤)

(٢) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة (٢/ ١٨٤)

«إن الملكين لما شقًّا صدره الشريف وملآه حكمة وإيمانًا ختماه بخاتم النبوة»[1]. ويمكن الجمع بأنهما ختما ذلك المحل الناتئ عند الوضع ثم بعده؛ إشارة إلى مزيد الاعتناء والتشريف، وإلى أن سبب بروزه في الجسد أنه علامة على ختم النبوة به وأنه أبرز لهذه الفضيلة العظيمة فلا يعد نقصًا في البدن، ويؤيده الحديث الذي رواه جماعة: «وختم -يعني جبريل- في ظهري حتى وجدتُ مسّ الخاتم في قلبي»[2]. ثم رأيت من جمع بأنه كان في موضعين: أعلى الكتف، وبين الكتفين، انتهى.

وقد تعددت الروايات في صفة خاتم النبوة ومحله، وسردناها في «المورد».

وفي «المواهب»: وقال بعض العلماء: اختلف أقوال الرواة في خاتم النبوة، وليس ذلك باختلاف، بل كلٌّ شبَّهَ بما سنح له، وكلها ألفاظ مؤدّاها واحد، وهو قطعة لحم، ومن قال شعر؛ فلأن الشعر حوله متراكب عليه، كما في الرواية الأخرى.

وقال القرطبي: الأحاديث الثابتة تدل على أن خاتم النبوة كان شيئًا بارزًا أحمر عند كتفه الأيسر، إذا قلّل قدر بيضه الحمامة، وإذا كبر جُمْع اليد، انتهى.

وقد أشار الإمام محمد البوصيري -جعل الله مقر القرب مصيره ومصيري- في «همزيته» التي أصولها محكمة وفصولها محررة محكمة، وفروعها مبِرّة، وضروعها مدِرّة لمعجزات باهرة، وآيات ظاهرة زاهرة، فقال -خفف الله عنه الأثقال:

حبّذا عِقْدُ سُؤْدُدٍ وَفَخَارٍ ... أنتَ فيهِ اليتيمةُ العصماءُ

ومُحَيًّا كالشَّمسِ منكَ مُضِيءٌ ... أسفَرَتْ عنهُ ليلةٌ غَرّاءُ

ليلةُ المولدِ الذي كانَ للدِّيـ ... ـنِ سرورٌ بيومِهِ وازْدِهاءُ

وتوالَتْ بُشْرَى الهواتفِ أنْ قدْ ... وُلِدَ المصطفى وحَقَّ الهَنَاءُ

وتَداعَى إيوانُ كِسْرَى ولَوْلا ... آيةٌ مِنكَ ما تَداعَى البناءُ

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٠٧).

(٢) رواه الطيالسي في «مسنده» (٤/ ٤٢١).

وغَــدَا كــلُّ بيــتِ نــارٍ وفيــهِ ... كُرْبَــةٌ مِــنْ خُمودِهــا وَبَــلاءُ
وعيــونٌ لِلْفُــرسِ غــارَتْ فهــلْ كــا ... نَ لنِيــرانِهِم بِهَــا إطفــاءُ
مَوْلِــدٌ كــانَ منــهُ في طــالعِ الكُفْــ ... ــرِ وبــالٌ علــيهِمُ ووبــاءُ
فَهنيئًــا بِــهِ لآمِنَــةَ الفَضْــ ... ــلُ الــذي شُرِّفَــتْ بِــهِ حــوَّاءُ
مَــنْ لِحَــوَّاءَ أنَّهــا حمَلَــتْ أحْــ ... ــمدًا وأنَّهــا بِــهِ نُفَسَــاءُ
يــوْمَ نَالَــتْ بِوَضْــعِهِ ابنَــةُ وَهْــبٍ ... مِــنْ فَخَــارٍ مــا لم تَنَلْــهُ النِّســاءُ
وَأَتَــتْ قومَهــا بأفْــضلَ ممــا ... حَمَلَــتْ قبــلُ مــريمُ العــذراءُ
شــمَّتَتْهُ الأمْــلاكُ إذ وضَــعَتْهُ ... وشَــفَتْنَا بِقَوْلِهَــا الــشَّفَّاءُ
رافعًــا رأسَــهُ وفي ذلــكَ الرفْــ ... ــعِ إلى كــلِّ سُــؤْدُدٍ إيــماءُ
رامقًــا طَرْفُــهُ الــسَّماءَ ومَرْمَــى ... عــينِ مَــنْ شَــأْنُهُ العُلُــوُّ العَــلاءُ
وتَــدَلَّتْ زُهْــرُ النُّجــومِ إليــهِ ... فأضــاءتْ بِــضَوئِها الأرجــاءُ
وتــراءَتْ قــصورُ قَيْــصَرَ بــالرُّو ... مِ يَرَاهَــا مَــنْ دَارُهُ البطحــاءُ

ومن أراد العبور للروضات العبدية والعثور على النضرات القريبة العِندية، فليسرح في اللُّمَح الفريدة العزِّية في شرح القصيدة الهمزية؛ إذ قد اتسع فيه المجال لمن خال في ميدانه أو جال.

ومما يندب فيه ويستحب لمصافيه أن يظهر السرور، والبسط والهناء والحبور، ويبذل الموجود، ويتكلف إن قَدِر للمفقود، وأن يُطعِم المطاعم النواعم من كل ملائم فقراءَ الأمة بقلب هائم ولبٍّ عائم.

وقد سئل العالم المحقق الولي أبو زرعة بن العراقي عن فعل المولد: أمستحب أو مكروه، وهل ورد فيه شيء، أو نقل فعله عمن يقتدى به؟ فأجاب بقوله: الوليمة وإطعام الطعام مستحب في كل وقت؛ فكيف إذا انضم إلى ذلك السرور بظهور نور

النبوة في هذا الشهر الشريف، ولا نعلم ذلك عن السلف، ولا يلزم من كونه بدعه كونه مكروهًا؛ فكم من بدعة مستحبة، بل واجبة. يعني: إذا لم ينضم لذلك مفسدة، والله الموفق.

وفي «المورد» زيادات حسنة، عند متأملها مستحسنة، وقد جرت عادة السادة الأعلام بقراءة مولده الشريف المنشور الأعلام، وجُرِّب ذلك؛ فرأوا نفعه عامًّا، ومدده على الخاص والعام تامًّا، وأنه أمان في ذلك العام، وبشرى عاجلة بنيل المرام؛ لنشر نشر المعجزات العِظام، والإرهاصات الفِخام حال قراءته وبثه في الآنام.

وأول من عمل المولد الشريف ومنه قُبِل: ملك «أربل» -عفا الله عنه وعملَه قَبِل، وصنّف له العالم العامل المجتلي: ابن دحية الحنبلي كتابًا سماه «التنوير بمولد البشير النذير»، فأجازه بألف دينار، وتبعه ملوك الأقطار، ودام عليه عمل أهل الأبصار إلى الآن بحمد الولي المنان.

ومما ينتجه عمل مولد النبي المختار، ويثمر به في قلوب الغُيّاب في الحب والحُضّار أنه يكسب السامع زيادةَ حبٍّ نورُه لامع، وأنه يدخل الطامع جنة أشجان، وجنة إحسان مددُها هامع، وينتج مزيدَ وجدٍ كأسُه دار في ودٍّ فردٍ جامعٍ للأسرار، مقدّمٍ في جامع الإسرار والإجهار، قبلة أرواحٍ في الأدوار، وكعبة أشباحٍ في الأعصار، ومنبر أذكار ومحراب ادّكار، ويولد الاعتبارَ في الأفكار، والإقبالَ ورفضَ الإدبار، ويولِّد في القلوب أثمار الغيوب وأزهار الاستحضار، وفي الأسرار شهود الواحد العزيز الغفار، غبَّ المخاق الحجب الوهمية والأستار، وهو عيد الأخيار ويوم جمعة الأبرار، وشهره ربيعٌ معطار، وعامه مرتع ازدهار، ومَربعٌ مُربع بالبهار.

وقد خصّت الليلة الموافقة لليلته في كل عام بإمداد نامٍ تامٍّ، وإنعامٍ عامٍّ، وكشفٍ عَلا، ورشف جَلا، وخُصّ يومُ وفورِ نورِ الظهور بخصائصَ لا تتناهى، ومزايا ندايا وهدايا لا تُضاهي ولا تُباهي، حتى الليالي التي وقع فيها الخلاف لها مزيد فيضٍ على غيره ناف، وهكذا المعراج للياليه وافر ابتهاج؛ فجديرٌ بمن شرب

كأس الحب طفاحًا، أو ترشّح من فمه رشحاتٍ تفوق أقداحًا، أن يقابل ليلتي المولد والمعراج بالسرور والحبور الوهاج، مجانبًا حال حلول قصورهما للقصور، ساجدًا وقت حضورهما سجدة الشكر للشكور.

وفي «المورد» ما يورد الظامي المنهل المورود الطامي، ومما ينبغي لقارئ المولد الأصفى، والمُنهِل أهلَه ما راق وصفا أن يستعمل حالة القراءة الأدب والخضوع، والذلة والسكينة والخشوع، وليتجنب الألفاظ المخلّة بجانب التعظيم، ويتحرى ما يُفهِم منها التمجيدَ والتكريم، وإذا جاء ذكرُ اليتيم فليصرِّح بأن المراد منه رفع منّة الخلق عنه، وإباء المراضع عن المزاحمة على هذه الدرة اليتيمة؛ من أجل تخصيص الحق لهذه الخدمة الكريمة حليمة، وأنّ فقره عن اختيار؛ لتقتدي به من أمته الأطهار.

وأما ذكر الرضاع وأحاديثه التي نَشرُها ضاع: فأول من أرضعته ﷺ بعد أمه ثويبة، المملوءة من حبه الغيبة، وحسنت منها الرضعات القليلة المسالك، حتى كان ﷺ يصلها لذلك.

وفي «الخصائص الصغرى»: لم ترضعه ﷺ مرضعة إلا أسلمت. وإذا عمّت بركته المراضع الأباعد، فكيف تتخطى الأبوين ولهما لم تساعد؟

وفي «السيرة الحلبية»: يقال أنه ﷺ ارتضع من ثمانية من النساء، وقيل: عشرة - بزيادة خولة بنت المنذر، وأم أيمن عزيزة، انتهى.

والمرضعة المقصودة بالذات: حليمة الكريمة الوصف والذات. وأنشدوا[1]:

لقـــد بلغَـــتْ بالهاشـــميِّ حليمـــةٌ مقامًـــا عـــلا في ذروةِ العـــزِّ والمجـــدِ
وزادتْ مواشـــيها وأخـــصبَ رَبْعُهـــا وقـد عَـمَّ هـذا السَّعدُ كـلَّ بنـي سـعدِ

وأنشد البوصيري -حباني الله تعالى به تنويري:

(١) البيتان ذكرهما الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (١/ ٣٩١)، والتنوخي في «الفرج بعد الشدة» (١/ ٤٠).

وبَــدَتْ فِي رَضَــاعِهِ مُعْجِــزَاتٌ لَــيْس فيهــا عــنِ العيــونِ خَفَــاءُ
إِذْ أَبَتْــهُ لِيُتْمِــهِ مُرْضِــعاتٌ قُلْــنَ مــا في اليتــيمِ عنّــا غَنَــاءُ
فأتتْــهُ مــن آلِ ســعدٍ فتــاةٌ قــد أبَتْهَــا لِفَقْرِهَــا الرُّضَــعاءُ
أرْضَــعتْهُ لِبَانَهَــا فَــسَقَتْهَا وَبنِيهــا أَلْبَــانَهُنَّ الــشَّاءُ
أَصْــبَحَتْ شُــوَّلاً عِجافًــا وأمــسَتْ مــا بِهــا شــائِلٌ ولا عَجْفــاءُ
أخْــصَبَ العَــيْشُ عِنْــدَهَا بعــدَ مَحْــلٍ إذ غَــدا للنبــيِّ منهــا غِــذاءُ
يــا لَهَــا مِنَّــةً لقــدْ ضُــوعِفَ الأَجْــرُ عليهــا مــن جِنْــسِها والجــزَاءُ
وإذا ســـخَّرَ الإلـــهُ أُناسًـــا لــسعيدٍ فــإنهم سُــعَداءُ
حَبَّــةٌ أنْبَتَــتْ سَــنَابِلَ والعَــصْــفُ لَدَيْــهِ تَسْتَــشْرِفُ الــضُّعَفَاءُ

وفي «السيرة الحلبية»[1]: وعن حليمة أنه ﷺ لما بلغ شهرين كان يحبي إلى كل جانب، فلما بلغ ثمانية أشهر كان يتكلم بحيث يُسمع كلامه، ولما بلغ تسعة أشهر كان يتكلم بالكلام الفصيح، ولما بلغ عشرة أشهر كان يرمي السهام مع الصبيان، فلم يقطع سنيّه حتى كان غلامًا جفرًا[2].

وعنها أنها قالت: إنه لفي حجري، إذ مرّت بي غنماتي، فأقبلت واحدة منهن حتى سجدت له، وقبّلت رأسه، ثم ذهبت إلى صواحبها.

قالت: وقد سجدت له الغنم -أي: في غير هذه المرة، قالت: وكان ينزل عليه كل يوم نور كنور الشمس ثم ينجلي، وكانت الغمامة لديها تقيه حر الهجير.

وأول ما شُقّ صدره الشريف عندها فهالها أمره الخطير، وحملته إلى أمّه ليقرّ

(١) في (١/ ١٣٨).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ٣٣٩)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٤/ ٤٥٩)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٢١).

الله عينها بهذا التبشير، فقالت بعد الاستخبار: أخشيتما عليه الشيطان؟ كلا والله ما للشيطان عليه سبيل، وإنه لكائن لابني شأن -أي: حال جليل جميل.

وقال البوصيري في شأنها -قدس الله سرّه- مفصحًا عن لوعة جنانها:

وَأَتَتْ جَدَّهُ وقد فَصَلَتْهُ ... وبِهَا مِنْ فِصَالِهِ البُرَحَاءُ
إذْ أحاطتْ بِهِ ملائكةُ اللـ ... ـهِ فظنَّتْ بِأنّهم قُرَنَاءُ
ورأى وَجْدَها بِهِ ومِنَ الوَجْـ ... ـدِ لهيبٌ تَصْلَى بِهِ الأحْشاءُ
فَارَقَتْهُ كُرْهًا وكانَ لَدَيْهَا ... ثاوِيًا لا يَمَلُّ مِنْهُ الثَّواءُ

انتهى.

وقلت عند شرح البيت الأول على لسانها، لما كوت الفؤادَ حرارةُ تَلَوُّعِها وأشجانِها، مرتجلًا:

مِنْ أينَ لي صبرٌ على فقدِ المُنَى ... إنَّ التَّصَبُّرَ غابَ يومَ فراقِهِ
بدرٌ يُفِيدُ البدرَ نورًا ساطعًا ... شمسٌ يُمِدُّ الشمسَ مِنْ أطواقِهِ
ولقدْ نسيتُ الغيرَ حينَ وجدتُّهُ ... وسلوتُهُ مُذْ ذُقْتُ حُلوَ مذاقِهِ
إنْ غابَ عنْ عيني فقلبي دارُهُ ... لَمّا سقاني الصَّرْفَ مِنْ أحداقِهِ
أسقيتُه لبنًا فحابى ما صفَا ... كأسًا أنارَ الكونُ مِنْ إشراقِهِ
لا تعذِلُوا قلبًا يُقلِّبُهُ الجَوى ... إن جُنَّ من شوقٍ إلى أعناقِهِ
فلكَمْ ظَفِرتُ بقُبلةٍ مغسولةٍ ... ولكَمْ شممْتُ الطِّيبَ مِنْ أرياقِهِ
ولقد حُسِدتُ على وِصالِ محبّبٍ ... قد فُزْتُ لَمّا صِرتُ مِنْ عُشّاقِهِ
فلتعذُرُوا -أهلَ الغرام- مَشُوقَةً ... أوفتْ بعهدِ الحبِّ مِنْ ميثاقِهِ
فاقتْ بِهِ أهلَ الصَّبابةِ مُذْ سَرَتْ ... في ذِكرِهِ الركبانُ في آفاقِهِ

كيف لا تتوجّع حليمة النديمة، وتتلوّع تلوُّع السليمة بشرية سليمة، وقد شاهدت شفاء الأنفس السقيمة يريد ارتحالاً عن مرابعها العديمة، بعدما جنت من روضة وصله كل حسَن، ولم تكن صيفًا أضاعت اللبن، وإذا كان محض الفراق أذى، فمن ذا يقوى عليه وقد أزال التلاقي القذى، لا سيما بعد ائتلاف بعد الإئْتلاف، وبعد بعادٍ يُعاد صاحبُه إلى أن يُعاد، إذا كان الفراق يورث الشمس اصفرارًا، فكيف بمن ذاق كأس الصفاء البرّاق ليلًا ونهارًا، وصار الجفاء عنه أبعد من أمس، وحفظ من الأغيار حفظ الصلوات الخمس، وأدرك الأسرار إدراك الحواسِّ الخمس، وصين من الأكدار صون الغزالة من اللّمس!

وأنشد لسان الحال ارتجالاً، وقد جال في الحب مجالاً:

كيـفَ يقـوَى عـلى الفـراقِ رضـيعٌ ... وهـوَ داءٌ -كـما علِمْـتَ- فظيـعُ
لـيسَ يـرضَى بِـهِ مـليءُ فـؤادٍ ... مِـنْ وداءٍ للـشوقِ سـوقًا يُطيـعُ
فِرقَـةُ الحُـبِّ فِرقَـةُ الحِـبِّ قـالوا ... إنّهـا المـوتُ للأسـايا تُـذيعُ
يـا لَقـومي مَـنْ لي بوصـلِ وصـالٍ ... فيـهِ عَيـشِي حتـى المماتِ مُريـعُ
فيـه تُجـلى سرُّ أعـلى الـضواحي ... فأراهـا مِـنْ غـيرِ سـترٍ يُريـعُ
وأرى فيـهِ كـلَّ حـقٍّ حقيـقٌ ... بالخفـا حيـثُ مـا دعانـا الـسميعُ
فأنـالُ المُنـى بـدونِ احتجـابٍ ... بـاقترابٍ والأُنـسُ فيـهِ بـديعُ
ولـروضِ التقـديسِ أدنُـو سُـحَيْرًا ... والنَّـدى فيـهِ والعطـاءُ وسـيعُ
سـامعًا نـاظرًا بِكُـلِّي لِكُـلِّي ... جامعًـا والمقَـرُّ ذاكَ منيـعُ
وهنـاكَ الهنـا بغـيرِ عنـاءٍ ... والحبيـبُ المجيـبُ فينـا الـشفيعُ

وتكرر الشّق وهو ابن عشر، وعند مجيء الوحي، وعند الإسراء، وروي خامسة ولم تثبت، وحكمته التنزيه والتقديس عما لا يليق بمقامه الرفيع النفيس.

ولما بلغ ﷺ من العمر أربع سنين ماتت والدته، وقيل: أكثر، وكانت خرجت به إلى أخواله من بني عدي بن النجار تزورهم، ومعه أم أيمن، فنزلت دار التابعة - بمثناة فوقية وباء موحدة فعين مهملة، وتقدم ضبطها- وأقامت عندهم شهرًا، ولما رآها ﷺ قال: «ها هنا نزلتْ بي أمي، وأحسنتُ العوم في بئر بني عدي بن النجار، وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إليَّ، قالت أم أيمن: فسمعتُ أحدهم يقول: هو نبي هذه الأمة، وهذا دار هجرته، فوعيت ذلك كله من كلامهم»(١)، ثم رجعت به أمه إلى مكة، فلما كانت بالأبواء توفيت ودفنت ثَمَّ كأبيه -على قول- والأبواء: محل بين مكة والمدينة، وهو إلى المدينة أقرب، وسمي بذلك؛ لأن السيول تتبوأه، أي: تحلّ فيه.

ولما بلغ ثمان سنين -وقيل أكثر- مات جده عبد المطلب، ودفن بالحجون، فكفله عمه أبو طالب، وبعد إدراكه الحلم خرج مع عمه إلى الشام حتى بلغ بصرى، فرأى بحيرا الراهب، واسمه جرجيس، فعرفه بصفته.

ولما بلغ ﷺ خمسًا وعشرين سنة خرج إلى سوق بصرى، ومعه ميسرة غلام خديجة في تجارة لها، فنزل تحت ظل شجرة، فقال نسطور الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي». وفي رواية: بعد عيسى.

«وكان ميسرة يرى في الهاجرة ملكين يظلانه من الشمس»(٢)، ورأت ذلك خديجة لما رجعوا إلى مكة في ساعة الظهيرة، وخديجة في علية، رواه أبو نعيم.

وتزوج ﷺ بها بعد ذلك بشهرين وخمس وعشرين يومًا، وقيل: كان سنُّه ﷺ إحدى وعشرين سنة، وقيل: ثلاثين سنة، وكان لها رضي الله تعالى عنها من العمر أربعون سنة، ولبعضهم روايات أخرى.

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ١١٦).

(٢) رواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (١/ ٢٣٢).

ولما بلغ رسول الله ﷺ خمسًا وثلاثين سنة خافت قريش أن تُهدم الكعبة من السيول، وكان ﷺ ينقل معهم الحجارة.

ولما بلغ ﷺ أربعين سنة، قيل: وأربعين يومًا، وقيل: وعشرة أيام، وقيل: وشهرين- يوم الإثنين لسبع عشرة خلت من رمضان، وقيل: لسبع، وقيل: لأربع وعشرين ليلة، وقال ابن عبد البر: يوم الإثنين لثمانٍ من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من الفيل، وقيل: في أول ربيعٍ بعثه الله تعالى رحمة للعالمين، ورسولاً إلى كافة الثقلين أجمعين بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وقد جمع الله تعالى له سائر الكمالات، وأعطاه جميع أوجه الدلالات، وجمع له بين النبوة والسلطان، وعلم الشريعة والحقيقة، وآتاه الحكم والبيان، والحجة والبرهان، وأنواع الوحي والقرآن، وأنار به جبال فاران، وعمر به دوائر الأكوان بالإيمان، وفتح به أعينًا عُميا، وآذانًا صُمًا، وقلوبًا غُلفا، وجعله عين الرحمة العظمى، وزين النعمة الشمّا، والمنة الكبرى في الدنيا والأخرى. وأنشدوا:

غنيمـةُ عمـرِ الكـونِ بهجـةُ عيـشةٍ   سرورُ حيـاةِ الـروحِ فائـدةُ الـدهرِ
هو النعمـةُ العُظمَـى هـو الرحمـةُ التي   تجَـلَّى بهـا الـرحمنُ في الـسرِّ والجهـرِ

المخصوص بما لا تُكيّفه الأذهان، ولا تُصوِّره عقول لها رجحان، ومَن هدانا الله تعالى به للإيمان، وخلّصنا باتّباعه من حرِّ النيران، ونجّانا بشفاعته من المسخ والخسف والأصر المضرِّ بالأبدان، وأحلّنا بإرشاده دائرة الجِنان.

ولنختم هذا المولد الشريف الزائد الرجحان، بذكر أوصاف سيد سند ولد عدنان، بقصيدة في مدح ذاته المقدسة الأركان، جرت على اللسان من أزمان، وهي:

إمـامَ الخلـقِ يـا ألِـفٌ وبـاءُ   تمـامَ الـصدقِ يـا حـاءٌ وبـاءُ
دليـلَ الكـونِ مِـنْ أزلٍ بفَـيضٍ   سـبيلَ الـصَّونِ أنـتَ بـكَ النَّجـاءُ
وحيـدَ القُـربِ وَهّـابَ العطايـا   فريـدَ الـشّربِ فيـكَ أتـى الـشفاءُ

جميلَ مآثرٍ ليستْ تُضاهَى جليلَ مفاخرٍ فيها ارتقاءُ
أسيلَ الخدِّ مطلوقَ السجايا نَبيلَ الجَدِّ مركزُهُ العَلاءُ
لكَ الخُلقُ العظيمُ بِحُكمِ نصٍّ لكَ الخَلقُ السليمُ لكَ البهاءُ
عريضَ الجاهِ كُنْ عَوني وغَوثي فَضِيضَ الفاهِ أقْلَقَني الحفاءُ
منيعَ الجارِ قِلْنِي مِنْ عَثَارٍ رفيعَ الدارِ والسيفُ القضاءُ
شفيعَ الناسِ يومَ الباسِ سَامِحْ وسيعَ الطاسِ قد ضاقَ الفضاءُ
مَتينَ الصُّورِ ذا القدحِ المُعَلَّى مُبينَ النورِ والبدءُ انتهاءُ
ظهرْتَ بمظهرِ التكميلِ قِدمًا بهرتَ بِهِ العقولَ فزالَ داءُ
شديدَ العزمِ بُلِّغْتَ المُرَجَّى سديدَ الحزمِ مَنْهَلُكَ الرَّواءُ
نبيًّا كنتَ آدمُ لم يُسَوَّى نجيًّا صُنْتَ أسرارًا تشاءُ
سقيتَ الكلَّ حتى الكلُّ تاهوا رَقَيتَ شَفَيتَ مُذْ هَطَلَ العطاءُ
أممتَ الأنبياءَ بقدسِ أُنسِ ختمتَ الأصفياءَ إليكَ فاءُوا
فذاتُكَ ما لها مثلٌ ونِدٌّ ووصفُكَ ما لهُ حدٌّ يُجاءُ
بدتْ أنوارُها تُجلَى بعِلْمٍ وفي لوحٍ وقد برِحَ الخفاءُ
وفي غيبٍ تراءَتْ دُونَ ريبٍ لأعيانِ العَيانِ لها انجِلاءُ
ولمّا عالَمَ الأشهادِ وافَتْ وضاءَ الكونُ وانصرفَ البلاءُ
تَضاءَلَ كلُّ ذي نُورٍ لديكُم وعندَ ولادةٍ رُفِعَ الغِطاءُ
وجاءتكَ الملائِكُ في جموعٍ وأمّتْكَ الهُداةُ الأنبياءُ
وفي الإسراءِ والمعراجِ حُزْتُمْ مقاماتٍ غلَتْ ولها نَماءُ
فأحسنُ منكَ لم ترَ قطُّ عينٌ رأتْ عينًا وحُقَّ لها الهناءُ

وأكمـلُ منـكَ مـا وُلِـدَ ابـنُ أنثـى وأجمـلُ منـكَ لم تلـدِ النسـاءُ
خُلِقْـتَ مُـبَرَّءًا مِـنْ كـلِّ عيـبٍ وأيـنَ العيـبُ والأصـلُ الـذكاءُ
بـراكَ الحـقُّ مِـنْ نـورِ الـتجلّي وغِبْـتَ وأُبْـتَ والأرضُ الـسماءُ
وصـوَّركَ المـصوِّرُ محـضَ خـيرٍ كأنّـكَ قـد خُلِقْـتَ كـما تـشاءُ
عليـكَ اللهُ صـلَّى كـلَّ حـينٍ وسـلّمَ مـا بـدا أبـدًا صـفاءُ
وآلٍ ثُـمَّ أصـحابٍ مـوالٍ دوامًـا مـا لكُـمْ فينـا الـولاءُ
ومـا العبـدُ المحـرَّرُ مِـنْ سِـواكُمْ بِـرِقِّكُمُ لَـهُ صـحَّ انـتماءُ
لهـذا ليلـةَ المـيلادِ نـادَى: إمـامَ الخلـقِ يـا ألِـفٌ وبـاءُ
فجـاءَ جوابُـهُ يـا مـصطفانا لـكَ البُـشرى لـكَ المـددُ الفـراء
فحَيْعِـلْ للثنـا والـشكرِ جهـدًا يعـمُّ الفـيضُ يأتيـكَ الـسناءُ

اللهم إنا نسألك بمن عمّت بركةُ مولده الأكوان، وطمّت فيوضاتُ ظهوره جميع عوالم الإحسان والامتنان، وتأرّج بطيبه الوجود، وتعطر بنشره أهل الوجد والوجود، وبها فتحتَ في ليلته من أبواب برٍّ وهداية مدامة المدامة، وسحبتَ حكم هذا الإمداد على الليلة الموافقة لها إلى يوم القيامة، أن تمنَّ علينا بالمغفرة التامّة، والرحمة العامّة البسامة، وأن تحقق لنا فيها نيل الزلفى والكرامة، والمنحة العظمى والنفحة القوّامة، هنا وفي دار السلامة، وأن تنجينا والمحبين من شر كلِّ تباعة وظلامة، وأن تدخلنا جنة الفردوس الأعلى بلا ملامة، شاربين من كوثر صاحب العمامة والغمامة والعلامة، وأن تجود بالرضوان والعفو والغفران علينا وعلى والدينا ومشايخنا وأهالينا والمنتمين إلينا، وأن تكفينا السوء بما شئت وكيف شئت، إنك على ما تشاء قدير، وأن تدفع عنا وعن المسلمين ما يؤذينا، إنك المولى النصير العليم الخبير.

اللهم عُمّنا برحمتك أجمعين، واجعلنا هادين مهديين، واختم لنا منك بخير في

عافية وسلامة في العقل والدين، ولا تدَع لنا والحاضرين ذنبًا إلا غفرته، ولا عيبًا إلا سترته، ولا دينًا إلا وفيته، ولا همًّا إلا فرّجته، ولا مريضًا إلا عافيته وشافيته، ولا غائبًا إلا رددته، ولا عدوًّا للإسلام والمسلمين إلا قصمته، ولا سلطانًا إلا نصرته، ولا واليًا إلا أصلحته وعدّلته، ولا حاجةً لك فيها رضًا و لنا فيها صلاح إلا قضيتها برحمتك يا أرحم الراحمين، يا أكرم الأكرمين، يا رب العالمين.

اللهم اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم، وصلِّ الله على سيدنا ومولانا محمد الأمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

وكان الفراغ من نسخ هذا المورد الشريف نهار الإثنين لإحدى عشرة خلت من ربيع الأول سنة ألف ومائة وثلاث وخمسين على خويدم المصنِّف سلامة عفا الله عنه ووالديه والمسلمين أجمعين .. آمين.

وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ

فهرس الموضوعات

يصدر حديثًا لأول مرة..... أفضل وأسعد كتاب عرفته الدنيا في محبة النبي ﷺ

الدر المنظم في وجوب محبة السيد الأعظم ﷺ

ويليه

التعلق بجنابه والعكوف على بابه

للشيخ رشيد بن مصطفى الراشد التاذفي الحلبي

خليفة الشيخ النبهاني

تحقيق وتخريج وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي